الفصل الثاني

الدكتور هوكنج ونظريات الفيزياء

obeikan.com

obeikan.com

يقول الأستاذ العالم الكبير/ ستيفن هـوكنج أن أي نظريـة فيزيائيـة هـي دائماً مؤقتة بمعنى أنها فرض وحسب ولكـن هـوكنج يستطرد هنـا ويقـول أن تنبـؤات أينشتاين توافقت مع ما يتم رؤيته عـلى عكـس تنبـؤات نيـوتن والتـي لهـا ميزاتهـا الكبرى في أن العمل بها أبسط كثيراً من العمل بنظرية إينشـتاين ويقـول هـوكنج في كتابه: واليوم فإن العلماء يوصفون الكون في حدود نظريتين جـزئيتين أساسـيتين، نظرية النسبية العامة وميكانيكا الكم، فهما الإنجازان الثقافيان العظيمـان للنصـف الأول من هذا القرن...

على أنه لسوء الحظ من المعروف أن هاتين النظريتين لا تتوافـق إحـداهما مـع الأخرى فلا يمكن أن تكون كلاهما صحيحة. وإحدى المحاولات الرئيسـية التـي تبذل في الفيزياء اليوم، وهي أيضاً المبحث الرئيسي لهذا الكتـاب[1] هـي البحـث عن نظرية جديدة تدمج النظريتين معا – نظرية كم للجاذبية، وليس لدينا بعد نظرية كهذه وربما كنا لا تزال بعيدين عن الحصول عليها ولكننا نعرف بالفعل مـن قبـل الكثير من الخواص التي ينبغي أن تكون لها.. وسـوف نـرى في الفصـول القادمـة (أي من الكتاب) أننا نعرف من قبل قدرا له اعتباره مـن التنبـؤات التـي ينبغـي أن تضيفها تنبؤات نظرية كم الجاذبية.» أنتهى ويشير هـوكنج إلى أنـه نشـرت في عـام ١٩٠٥ ورقة بحث شهيرة لألبرت انيشتاين الذي كان حتى ذلك الوقت كاتب غير معروف في مكتب سويسري للبراءات وكانـت حـول عـدم ضـرورة فكـرة الأثيـر بأسرها بشرط أن يكون المرء على استعداد لنبذ فكرة الزمان المطلق. وبعدها بعدة أسابيع أبدى هنري بوانكاريه وهو أحد الرياضيين الفرنسيين المبرزين، رأيا مماثلا وكانت حجج اينشتاين أقرب إلى الفيزياء من حجج بوانكاريه الذي كـان ينظـر إلى هذه المشكلة أنها رياضية.. ويستطرد هوكنج أنه عـادة ينسـب الفضـل في النظريـة الجديدة إلى اينشتاين على أن بونكارية يذكر على أن اسمه يرتبط بجزء مهم منها.

(١) كتاب هوكنج «موجز تاريخ الزمن»

ومع ذلك كان هوكنج يقول – في كتابه أيضاً – أن نظرية النسبية تجبرنا بالفعل على أن نغير أفكارنا عن المكان والزمن تغييراً جوهرياً فيجب أن نقبل أن الزمان ليس منفصلا ولا مستقلا على نحو تام عن المكان ولكنه ينضم معه ليشكلا شيئاً يسمى (المكان – الزمان) .. أما نظرية النسبية الخاصة لأينشتاين فيقول هوكنج أن اينشتاين قام بعدة محاولات فاشلة بين أعوام ١٩٠٨ و ١٩١٤ للعثور على نظرية للجاذبية تتوافق مع النسبية الخاصة وأخيراً فإنه في عام ١٩٨٥ اقترح ما تسميه الآن النظرية العامة النسبية.

ويؤسفني كثيرا أيضاً أن يكون مؤلف كتاب «موجز تاريخ الزمن» ربما لا يعلم ما يكفي من معلومات عن الإنسان من غير الانتخاب الطبيعي الذي قال به تشارلز دارون في نظريته عن النشوء والارتقاء لأنه يقول– أي مؤلف الكتاب:-«فإن لنا أن تتوقع أن القدرات لعقلية التي أتاحها لنا الانتخاب الطبيعي ستكون أيضاً صالحة في بحثنا عن نظرية كاملة موحدة لن تؤدي بنا إلى الاستنتاجات الخطأ». أنتهى ولكن وللأسف فإن المؤلفان (للكتاب والنظرية) كانا لا يعلمان الكثير أو ليست لديهما معلومات كافية عن البشر وطور آدم العاقل المتميز بالنفخة الروحية الربانية التي أبرزت العقل وقدراته وطاقاته بعد التسوية وهو الذي خلف غيره ممن سبقوه البشر البدائيين في الأرض .

أما عن القدرات العقلية التي يقول هوكنج أن الانتخاب الطبيعي لشارلز دارون هو الذي أتاحها لنا فإنه قوله يعتبر غير صحيح وخطأ وقع فيه غير المتخصص (هوكنج ودارون) وبين صحته عديد من العلماء المتخصصين في موضوعه الذين كان لهم رأي مخالف ورؤية مختلفة أذكر منهم على سبيل المثال الأستاذ الدكتور ويلدر بنفيل وكتابه (The Mystery of the mind) والدكاترة سير جون إكلز ودانيال روبرتسون وكتابهما (The wonder of peing human-our brain our mind) وهم من أشهر علماء النفس وجراحة المخ والأعصاب في العالم وكذلك فإن الآية ٣٥ من سورة النور في القرآن العظيم تؤكد أن العقل

ليس إفرازًا للمخ كغيره من الأعضاء (الكبد أو البنكرياس مثلا) لأن الآية تخبرنا أن المخ الذي سواه رب العالمين في البشر في طور آدم العاقل يعتبر كالكوكب الذي لا يضيء بذاته وليس كالنجم المضيء بذاته وإنما هو يوقد من شجرة نورية لا شرقية ولا غربية أي شمالية جنوبية هي الكهرومغناطيسية بقطبيها وقد شرحنا ذلك في موضع آخر من الكتاب وحيث توصلت العلوم الحديثة المختصة خاصة في جينات الوراثة التي كان لا يعلم عنها دارون شيئًا إلى إثبات أن المخ والعقل من طبيعتين مختلفتين تمامًا لا يفرز أولهما الثاني وقد خصصنا لهذا الموضوع وحقائقه في القرآن العظيم والعلوم الحديثة كتابًا لنا آخر مستقلاً .

إن أنصار الداروينية الحديثة الذي يبدو أن ستيفن هوكنج واحدا منهم، يعتبرون أن التطور نتاج لقانون الانتخاب الطبيعي ويتجاهلون تماما دور الطفرات الوراثية والخطأ هنا يكمن في أنه إذا لم يكن هناك قدر كاف من التغيرات المفيدة في الشفرة الوراثية فإن الانتخاب الطبيعي لن يجد ما يختاره ومن ثم لن تحدث التغيرات التطورية، أن العلم أثبت ببراهين ترقى إلى مستوى«الحقائق العلمية» عجز العشوائية عن قيادة قاطرة التطور كما اثبت أن التطور – وأن كان قد حصل – فإنه يحتاج إلى تصميم وتوجيه ذكي .. يقول عنه فرانسز كولنز (رئيس مشروع الجينوم البشري): «من الذي يحجر على الاله في أن يستخدم آلية التطور في الخلق» أن الشواهد في أنسب التفسيرات وحتى الآن تشير إلى حصول التطور البيولوجي للجسد المادي للإنسان أما ملكاته العقلية والروحية فقد اثبت العلم أنها «انبثاق» بمعنى التسوية في الخلق والتعديل فيه كما يقول القرآن العظيم، لا ظهور جديد تماما على عالم الأحياء وليست تطورا تدريجياً عن القدرات العقلية للرئيسيات، وهو استنتاج قال به في الماضي عالم البيولوجيا الفرد والاس المعاصر والنظير لتشارلز دارون، وأرجعه إلى العطاء الرباني المباشر، وكما يقول القرآن العظيم. أما عن تحول الأنواع فإن أنصار دارون لم يذكروا حيوان واحد تحول من نوع إلى نوع

بفعل الانتخاب الطبيعي أو تتنازع البقاء وبقاء الأصلح – كما أنه تم اكتشاف هياكل آدامية وحيوانية جاوز عمرها حساب دارون بملايين السنين مع وجود أنواع من البكتريا والقشريات والزواحف والقردة لم يمسسها حتى عصرنا هذا أي تطور ولا ارتقت درجة عن حالها في نشوء الأنواع وتطورها بالانتخاب الطبيعي.

أما النفخ من الروح في الإنسان فهو عطاء تميز به الإنسان بالعقل وبكل قدراته وإمكانياته وسطوته وخلف به (آدم) غيره من البشر الذين سبقوه في الأرض ولم يكونوا على مستواه المتميز في التسوية وفي مخه وعقله وقدراته وكانت حياتهم بدائية وهمجية.

الانتخاب الطبيعي[1]:

إن الانتخاب الطبيعي الذي قال به دارون وآمن به الدكتور/ هوكنج يعجز عن تفسير نشأة الكون والحياة ويعجز عن تفسير تطور الكائنات الحية ونشأة العقل والقدرات العقلية والذكاء الإنساني، حيث يسلمنا هذا العجز إلى القول بالقصد والغائبة التي يقف وراءها ذكاء مطلق، (أي الإله)، وكان توماس هكسلي عالم الأحياء البريطاني التلميذ الأول لدارون وأشد المتحمسين لنظريته، كان يقول في مناظرة له مع القس ويلفروس في عام ١٨٦٠ «أن هناك عللا أعلى تحكم التطور لم تقترب منها النظرية.. وأن التطور مفهوم علمي فلسفي لا يقترب من الديانات..» وكا هكسلي يرى أن قضية الوجود الإلهي لا يمكن أن تحسم من خلال علم البيولوجيا وأن العلم ليس لديه الأدوات لدراسة الوجود الإلهي ولذلك ينبغي أن لا يلجا إليه الملحدون لإثبات وجهة نظرهم .. ولا المتدينون أيضاً». ويقول جريجوري شاتين عالم الرياضيات والكمبيوتر الأمريكي: «ليست هناك آلية يمكنها أن تولد معلومات تخالف ببنيتها المعلوماتية فالمادة تولد مادة ولا تولد حياة أو عقل».

(١) مقتطفات من كتاب «خرافة الإلحاد».

هذا وأن العلم لم يثبت ولا أظنه يستطيع أن يثبت عشوائية الطفرات بل هو قد أثبت عجز العشوائية عن تقديم طفرات مفيدة ويعني الانتخاب الطبيعي أن الأنسب والأصلح للحياة يبقى بينما يندثر غير المناسب أي أن الكائنات التي تحتوي على طفرات ضارة فتموت وتندثر وتفني وهي حقيقة سبق أن قال عنها القرآن العظيم ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [الرعد:١٧].

والآية تقرر مبدأً قائمًا وقانونًا فاعلاً وسنةً سارية يصفهم العلماء بالانتخاب الطبيعي أو البقاء للأصلح وهو مبدأ وقانون من وضع الإله يتحكم في توجيهه وفي تسييره وفي تفعيله وهو مبدأ وقانون ليس للعشوائية أو الحظ أو الصدفة أو الطبيعة العمياء أو المادة الصماء إرادة أو أمر فاعل في تسييره وفي تنفيذه وإنما هي أسباب وضعها الله الخالق المدبر تنتج مسبباتها ونتائجها بالكيفية التي يشاءها الله وينفذ ويكون بها قضاءه الحاصل بأمره النافذ والناجز بأسرار (الكلمة الكنتية) «كن فيكون» وذلك بأسلوب التطور الموجه منه سبحانه وتعالى وتطويره الإلهي للمخلوقات . وقد أثبت السير جوزيف هوكر عالم النبات البريطاني الشهير (١٨١٧-١٩١١) أن الانتخاب الطبيعي محدود الدور وغير خلاق وأن دور الطفرات في التطور يفوق دوره بكثير إذ لولا الطفرات ما كان للانتخاب الطبيعي أن يعمل وهذا ما هو صار يعرف بحجة هوكر (Hooker's Argyment).

وكما يقول الأستاذ جلاد ستون عضو مجمع العلوم الملكي في بريطانيا : «إننا نحن المسيحيون من رجال العلم ندين بأن مذهب دارون عن بقاء الأنسب لا يبطل فكرة التدبير الإلهي أو فكرة النظام المقصود بل يؤكد هذه الفكرة ويمهد لنا سبيل النظر إلى الوسائل إلى اختارتها العناية الإلهية لتدبير مقاصدها منذ القدم فنرى أنها نتيجة قانون منتظم وليس مجرد سلسلة من المفاجئات المتفرقة».

حقائق غائبة

وأحب أن أقول وأبين:

١- أن ما اكتشفه أينشتاين عن السرعات العالية ليس إلا جزيئية ضئيلة جداً مما تحدث به القرآن العظيم عن السرعات العالية والزمان والتي نورد هنا على حد فهمنا – أمثلة منها فقط على النحو التالي:

(١) السرعة التي تم بها نقل عرش بلقيس ملكة سبأ من اليمن إلى فلسطين حيث يقيم النبي سليمان، وهي سرعة تختلف بين قدرات عفريت من الجن (قبل أن تقوم من مقامك) وقدرات الذي عنده علم من الكتاب ﴿قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ كما يخبرنا القرآن العظيم.

(٢) السرعة التي يتحقق بها أمر الله تعال والتي عبر عنها القرآن العظيم في قوله ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر: ٥٠] ويكون ذلك بالنسبة ليوم القيامة أيضاً كما في قوله تعالى ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾ [النحل: ٧٧].

(٣) الحالة أو الواقع أو الوضع الذي يقترن أو يتخذ أو يتزامن فيه (الماضي) مع (الحاضر) في نفس الوقت الواحد أو اللحظة الواحدة وذلك يوم القيامة عندما يجد الناس ما عملوا في الماضي حاضراً كما يقول القرآن العظيم ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

(٤) إختلاف (التقدير) الزمني بين المخلوق وبين الخالق والذي عبر عنه القرآن الكريم بالنسبة لتقدير الزمن المتعلق بيوم القيامة وحدوثه في قوله ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾﴾ [المعارج: ٦-٧] والبعد والقرب هنا متعلق بإختلاف التقدير الزمني بين المخلوق والخالق بالنسبة لمجئ يوم القيامة المنتظر.

(٥) إختلاف الزمن الذي تحدثت عنه آيات سورة الكهف بالنسبة لأهل

الكهف والذين هم خارج الكهف بين ثلاثمائة سنين أزدادوا تسعا (الحساب الشمسي والقمري) للمقيمن في الأرض خارج الكهف وبين يوما أو بعض يوم للمقيمن في الكهف وهم أهل الكهف.

(٦) الحساب الزمني بين الحياة والموت بالنسبة للإنسان والذي عبر عنه القرآن العظيم فيما جاء في آيات الذي مر على القرية – وهي بيت المقدس – فأماته الله مائة عام ثم بعثه وقال بعد بعثه أنه لبث يوماً أو بعض يوم . ونفس الإختلاف الزمني يحصل للإنسان بين حالة النوم وحالة اليقظة.

(٧) تلاشي الزمان تماما وأنعدام البعد الزمني في الحياة الآخرة بالنسبة للإنسان الذي تتسم حياته آنذاك بالخلود حيث لا قبل (ماض) ولا بعد (مستقبل) وإنما واقع (حاضر) دائم ومستمر لا ينتهي وفقاً لإرادة الله وما قدره أبدا وأزلا وقضاه بالنسبة للحياة في الأخرة في نعيم الجنة أو عذاب النار، والقدر هو الكتاب المكتوب والمسجل فيه ما كان وما يكون وما سيكون من عمل كل إنسان مما قدم أو أخر وأيضاً من تحقق كل الأحداث.

(٨) تلاشي الزمن وانعدام البعد الزمني في حياة (البرزخ) التي يتساوى فيها الإنسان الذي انتقل إلى البرزخ من آلاف السنين أو أكثر مع الإنسان الذي أنتقل إلى البرزخ حديثاً أو سينقل إليه قريباً في أي وقت مستقبلاً.

(٩) اتصال الروح بالجسد عند الإنسان في اليقظة وبما يتولد عنه العقل يجعل للإنسان إحساساً معيناً بالزمان فيما يعرف بالماضي والحاضر والمستقبل. ولكن حساب الزمان بالنسبة للإنسان أثناء النوم له أبعاد أخرى غير أبعاد اليقظة حيث يوجد الفارق بين (الوفاة) سواء في الموت أو النوم وبين (الحياة) القائمة. ومن هنا فإذا كان الفتية أهل الكهف لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين (وازدادوا تسعا بالحساب القمري) بالنسبة للإنسان المستيقظ في واقع الحياة فإن أهل الكهف

النائمين قدروا نفس هذه المدة بيوم أو بعض يوم ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ وبما يعنيه ذلك أن أحساس أو إدراك أو حساب الزمان للإنسان في اليقظة غيره في النوم، والإنسان هو الإنسان، والوفاة هي الحالة التي يقول عنها القرآن العظيم ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الزمر:٤٢].

(١٠) السرعة التي تم بها الإسراء والمعراج وتأثيرها على الزمن الذي استغرقته الواقعتان المعجزتان حسب ما جاء في أحاديث النبي الصحيحة والموثقة والتي أشارت إلى البراق (سرعة البرق أي الضوء) وإلى عودة النبي إلى مكة بعد الواقعتين وفراشة ما زال دافئاً بما يعنيه ذلك من قصر الزمن الذي استغرقته الواقعتان وبالتالي السرعة والكيفية التي تما وحصلا بها[1].

هذا وقد تحدثت آيات القرآن العظيم عن الزمن الذي خلاله خلق هذا الكون فذكرت مدة (ستة) ايام ومدة (ثمانية) أيام وتناولت اليوم عند رب العالمين وما يساويه من السنوات التي يعدها الإنسان في الأرض من مجموعتنا الشمسية (بحساباتنا الشمسية أو القمرية) كما تحدثت الآيات عن اليوم عند الملائكة والروح ومقداره الذي ذكرت الآيات أنه يساوي خمسين ألف سنة لأن الملائكة والروح خلق النور فيكون عروجهم نوري ضوئي أي مقدَّراً بسرعة الضوء أو بما يزيد عنها...إلخ.

وكل هذه الأمور في آيات القرآن العظيم تشير إلى الاختلاف في الزمان وعده وقياساته وحساباته وإحصاءاته وتقديراته من جانب المخلوقات في الكون وموقعها فيه بما يعنيه ذلك من أنه لا يوجد حساب زمني واحد يخضع له الكون كله وإنما يختلف الزمان وحسابه من منطقة فيه لأخرى. فهناك أزمنة متعددة بتعدد

(١) وقد أفردنا لهما كتابا مستقلاً. بعنوان «إسراء النبي محمد» لم يتم نشره بعد.

الظواهر وصفاتها الفيزيائية ولابد لنا من الاعتماد على الأجهزة بالغة التطور والتقدم وعلى التقنيات الجديدة التي يتوصل بها العلماء للقياس الزمني وأهمها علم وعالم الفيمتو الذي فتح الباب لعلوم كيميائية متسعة وتطبيقات واسعة المدى في هذا المجال، ويكون الرقم ستة أو ثمانية الذي أشار إليه القرآن العظيم بالنسبة لخلق الكون أو السماوات والأرض ليس مقصود به الرقم نفسه ومقداره وإنما يكون المقصود من ذكره في الآيات القرآنية تقرير حقيقة أكبر وأوسع وأشمل هي حقيقة (البعد الزمني) الذي يخضع له هذا الكون ونعيش في إساره وهو الذي أثبت العلماء في حينه أنه البعد الرابع في هذا الكون (أينشتاين).

كما وأن آيات القرآن العظيم تشير إلى الحقائق التالية بالنسبة للزمان:-

(١) لايوجد في الكون ككل مقياس زمني واحد ينطبق عليه بالتساوي أين كان الراصد أو الذي يعد ويحصى ويحدد الزمان ويقيسه.

(٢) أن الزمان إذا قسناه أو حددناه باليوم فإن هذا القياس أو التحديد يختلف من مكان وواقع إلى مكان وواقع أخر أي من مجرة إلى أخرى أو من مجموعة نجمية إلى أخرى أو حتى في نفس المجموعة (كمجموعتنا الشمسية مثلاً) من كوكب إلى كوكب أخر فيها.

(٣) أن تباين الرقم من (٦) إلى (٨) يشير إلى الاختلاف في القياس أو التحديد الزمني حسب ما ذكرناه في (١و٢) ويعني بالتالي حقيقة أخرى ثانية ليست رقمية وإنما يشير إلى الزمان (كبعد) ترتبط به السماوات والأرض أي الكون وقد بدا ونشا مع خلق الكون نفسه ونشأته الذي خلقه الله سبحانه وتعالى.

(٤) كما يختلف قياس أو عد أو تحديد الزمان مع اختلاف العوالم وكائناتها المادية العضوية أو العوالم وكائناتها الروحية النورية (الإنسان والملائكة والروح) فيما يبينه القرآن العظيم من اختلاف قياس أو تحديد (اليوم) بينهما في (العروج)

وهو السير بمنحى أو الرفعة في المقام والقدرات بين قياسنا وتحديدنا لليوم (وهو الزمن) بالأربعة والعشرين ساعة أو بين قياساتهم وتحديدهم لليوم بالخمسين ألف سنة في إشارة إلى الزمان في حسابه بالسنوات الضوئية النورية لأن الملائكة والروح من خلق النور.

هذا وكان أينشتاين يرى أنه ليس هناك زمان ومكان منفصلان وإنما هناك (زمكان) وهو كمية متصلة (CONTINICM) وبحيث الحوادث التي تبرز لنا ليست (آنية) ولكنها موجودة في الكمية المتصلة للزمكان وأن الماضي والحاضر والمستقبل متواجد وربما يفسر ذلك سراً من أسرار ما يقوله القرآن العظيم عن يوم القيامة ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧﴾ [المعارج: ٦-٧] أو ما يقوله ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ [الكهف:٤٩]، حيث يبدو الماضي متحداً مع الحاضر ومجموعة الأحداث في كتاب أو سجل هو المخ الذي أحصى كل صغيرة وكبيرة من أعمال الإنسان في الدنيا ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝١٣ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝١٤﴾ [الإسراء: ١٣-١٤]. ولنا في هذه الجزئية كتاباً مستقلاً.

الزمان الروحي

هناك حالة للروح الإنساني العاقل غير حالها عند الإنسان في الحياة الدنيا سواء في اليقظة أو في النوم أو من خلال الاتصال بالحس، وتلك هي حالة البرزخ الحاجز بين الدنيا والآخرة، حيث تعيش الروح في عالم غير العالم الذي نعرفه ونعايشه في حياتنا الدنيوية، ويكون فيه الزمان مختلفاً ولا ندرك عندئذ حقيقة أبعاده. كما أن الكائنات الروحية الصرفة - وهي نورية - كالملائكة والروح لأنه عندما تحدث القرآن العظيم عن عالم الأرواح في معراجها جعل فوارق في الزمان ذات أبعاد وقياسات ونسب مغايرة عما نقيسه أو نحسبه في دنيانا في الوضع

الطبيعي العادي لنا فالنسبة في عالم الأرواح هي واحد إلى خمسين الف سنة في عروجها فيقول ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾ [المعارج:٤]. وكلمة (إليه) في الآية لا تعني المكان وإنما تعني المقام أي أن الملائكة والروح تظل تعرج إلى الله لبلوغ تقدير مقامه أو الاقتراب المعنوي منه فتظل تسير عبر هذه المسافات الهائلة الشاسعة في الكون دون ان تبلغ المقام الإلهي أو تقترب منه.

والملائكة والروح كائنات نورية أي مخلوقة من نور وتملك من الطاقة ما يمكنها أن تقطع في عروجها (العروج هو السير بمنحي) مسافات شاسعة لا يمكن حسابها بحسابنا الأرضي الذي لا يسعفنا في بيان ابعاد العروج أو حركة سير أو سرعة انتقال هذه الكائنات الروحية فإذا علمتا أن الضوء (النور) يسير بسرعة ٣٠٠.٠٠٠كجم/ ث تقريباً فإن المسافة تكاد تقرب من عشرة مليون مليون كيلو متر وهوما يعرف بالسنة الضوئية. ومن هنا فلو أردنا أن نعرف بالتقريب المسافة التي تقطعها الملائكة والروح مع أخذ سرعة الضوء كمقياس بالنسبة لها – فإنه يتوجب علينا أن نضرب الرقم (١٠) مليون مليون كيلو متر × خمسين الف سنة لتكون النتيجة هي المسافة التي تقطعها الملائكة والروح في سيرها (عروجها) وهي خمسمائة ألف مليون كيلو متر أي الرقم خمسة وعن يمينه سبعة عشر صفرا.

هذه المسافة بحسابنا الكوني تقطعها الملائكة والروح في اليوم الواحد بمقياس العالم الروحي النوري فيما يمكننا أن نوصفه بالزمان الروحي أي القياس الزمني بالنسبة للكائنات الروحية.

ولذلك فإذا افترضنا أن الخمسين الف سنة التي تحدث عنها القرآن العظيم بالنسبة للملائكة والروح هي من السنوات الضوئية لأن الملائكة والروح كائنات نورية وهو الأقرب إلى الحق والحقيقة الفعلية وإذا علمنا أن الضوء يقطع في سنة واحدة (١٠.٠٠٠.٠٠٠.٠٠٠.٠٠٠) كليومتر لكان معنى ذلك أن المسافة التي

تقطعها الملائكة والروح هي نتيجة حاصل ضرب ٥٠.٠٠٠ × ١٠ مليون مليون كيلومتر وهي المسافة التي تبلغ ٥٠٠ وعن يمينها خمسة عشر صفرا كيلو متر، والرابط بين المسافة والزمان هو السرعة.. فالسرعة إذن هي المقصودة باعتبارها العنصر أو العامل الرابط بين الزمن والمسافة (وهي كيلو متر ثانية) مع ترجمة الأثنين إلى مسافة، وسرعة الضوء (النور) هذه هي كما اثبت اينشتاين في النسبية ثابتة في الكون كله بصرف النظر عن مكان المراقب فهي لا تتغير عندئذ لاعتبارات المراقب، إن حساب الزمان يختلف في الكون نتيجة عوامل مختلفة عند القياس وقد علمنا توقف الزمان تماما وانعدام الرؤية نتيجة قوة جذب تماثل سرعة الضوء في مناطق تعرف بالثقوب السوداء، وحيث لا يخرج أي ضوء إلى خارجها حيث تصل قوة الجذب (الجاذبية) للداخل إلى سرعة تعادل سرعة الضوء نفسه فلا يرى من الخارج ما يحدث داخل الثقب ولذلك يسمى بالثقب الأسود أي المظلم، وأن كان ستيفن هوكنج سيقول لنا غير ذلك عن الثقوب السوداء في كتابه «موجز تاريخ الزمن».

والعروج الملائكي والروحي الذي نتحدث عنه يتم في عالم مغاير تماماً من حيث الفضاء – الزمان المكان لطبيعة الفضاء – الزمان المكان المعروفة لنا في وضعنا في واقعنا . و لخلاصة هي أنه هناك زمان يتصل بالروح وقدراتها وفي وعيها وإدراكها الزائد على 'لحواس عند الإنسان وهو ما يسمى (الزمان الروحي) وقد علمنا من النسبية وميكانيكا الكم تأثيرات السرعة العالية في المادة وفي قياس زمان حركتها ولكننا لازلنا في بدايات الطريق بالنسبة لتأثيرات العقل أو الفكر المجرد على حبيبات المادة الذرية وكذلك تأثيرات العوالم الروحية الصرفة النورية، على حبيبات المادة الذرية المكهرية وبالتالي سرعات حركاتها ومقاييس الزمان فيها. وتأثير العقل أو الفكر المجرد على المادة هو ما يعرف (Psychokinetic) وهو يفسر لنا ما ذكره القرآن العظيم عن واقعة نقل عرش الملكة بلقيس من اليمن إلى فلسطين، وهي المسافة في الزمن الذي عبر عنه عفريت من الجن ﴿قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ وعبر عنه الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الكِتَابِ ﴿قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ وهو

الزمن، ويمكن الفهم من تواصل المسافة والزمن، فهم ومعرفة سرعة الحركة.. وعلى أساس معادلة أينشتاين (الطاقة = الكتلة مضروبة في مربع سرعة الضوء) ($E = MC^2$).

أما عن الطاقة الروحية أو النورية فمازال علمنا بها قليل في حده الحالي لا يعرف مدى تأثيرها على المادة الذرية وحبيباتها. وفي واقعة نقل عرش بلقيس يتحدث القرآن عن نوعين من القدرات التأثيرية من حيث السرعة والزمان، قدرة عفريت من الجن التي تعكس زمنا معيناً وسرعة معينة وقدرة الذي عنده علم من الكتاب التي تعكس زمانا أقل وسرعة أكبر أو أعلى.

والزمان في الحالات الثلاث التي ذكرها القرآن العظيم وشرحناها في كتابنا ليس زمانا تخيلياً من خيالنا وإنما هو زمان حقيقي وواقعي وان كنا يصعب علينا تحديد أو معرفة قياساته في حالة نقل عرش بلقيس والفارق الزمني خلاله في عالمنا الطبيعي وقوانينه الفيزيائية بينما يستحيل علينا معرفة قياساته في حالة حركة الملائكة والروح وهو الزمان الروحي الذي نتحدث عنه والذي تختلف فيه قياسات الزمان في عالمها وطبيعتها وقدراتها فيها والتي لا نعلم ولا يعلم العلماء عنها ما يفسرها أو يحددها أو يصف كنهها وطبيعتها وماهيتها في الحركة والسرعة والزمان الخاص بها.

وإن اختلاف القياسات والنظم الفيزيقية المغلقة وبالتالي الحقائق في العالم الفيزيقي تجعلنا نتفهم وجود المتغيرات الحسابية أيضًا بالنسبة للقدرات العقلية المجردة أي الزائدة على الحواس (E.S.P) أي الروحية المغايرة للمقاييس الفيزيائية المتصلة بالمادة والطاقة حيث أن الروح كائن مستمر الوجود في القبل والبعد والآن لا تفني ولا تموت والتي تموت هي النفس كما يخبرنا القرآن العظيم ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [الأنبياء:٣٥]..

الإحساس بالزمان :

الزمان له اتصال بالإحساس، كما أنه يتأثر بالحالة النفسية للإنسان، ومباحث الزمان تتعدد وتشمل مجالات كثيرة نذكر منها على سبيل المثال، الزمان بالنسبة للكون والزمان بالنسبة للإنسان والزمان البيولوجي والزمان الحسابي والفضاء زمن والزمان الروحي، وزمان الكائنات الروحية أو النورية.إلخ. كما أن الزمان مرتبط عند الإنسان بنشاط المخ الذي ينتج عنه الوعي العقلي عند إتصاله بالروح والوعي الروحي التابع من النفخة الربانية. (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي) والإحساس بالزمان متصل بتحقق الأحداث في الوجود الطبيعي. وتحقق الأحداث مع تغير الموجودات والكائنات وخاصة الكائن الإنساني، هو الذي يبرز هذا الإحساس بالزمان بما نستشعره ونقيسه ونحسبه ونحصيه ونعده، من الماضي والحاضر والمستقبل، وذلك كله عن طريق الحواس لدينا. فالزمان وقياسه متصل بالحواس التي يمكنها بالعقل أن تقيس وتعد وتحصى وتحسب وتتصور في إطار الماضي والحاضر والمستقبل كما ذكرنا. ومن هنا فإن العقل العامل في وعيه خارج الحواس،(E.S.P.)وهو الوعي النابع من قدرات نفخة الروح الربانية، يمكنه أن يتخطى حجاب وحدود الزمان بصورتهما التي تدركها الحواس من الماضي والحاضر والمستقبل، خاصة وأن «الحركة» المادية تختلف عن «الحركة» الروحية وقياساتهما وحساباتهما مختلفتان بالضرورة نتيجة اختلاف طبيعة كل منهما. ولما كان الإحساس في اليقظة غيره في النوم وغيره في الموت، فإن حساب أو قياس الزمان والشعور بالمكان، يختلفان بحسب هذه الحالات الثلاث، بالضبط كما يختلف الزمان باختلاف الحركة والسرعة. وهذه كلها أمور مرتبطة بالإحساس بالحركة في نسبة إلى الإنسان العاقل المدرك الواعي، وهو جسد وروح. ومن ثم تختلف مقاييس الزمان والمكان بحسب وعي العقل المرتبط بنشاط المخ في الجسد، أو وعي العقل المرتبط بالقلب بالنفخة الروحية في البصيرة والكشف القلبي بالضبط كما تختلف المقاييس بين حالات النوم

والموت واليقظة كما ذكرنا.

والعنصر الأساسي المتصل بهذا المفهوم هو عنصر القياس أو العد أو الحساب أو الإحصاء، وهو العنصر الذي يعطي للزمن وجوده المجرد كما أنه هو العنصر الذي يوجد للزمان تأثيره في حياة الإنسان وترقيه المستمر في المعرفة لما يحيط به في هذا الكون العظيم من العوالم المنظورة أو غير المنظورة. ونحن نؤمن بوجود عالمين، عالم مادي أو فيزيقي تحكمه قوانين علوم الفيزياء والكم والفلك والرياضيات والكونيات..إلخ. وعالم روحاني تحكمه قوانين مغايره تماماً للقوانين التي تدرسها العلوم المادية السالف بيانها. وعلمنا بإزاء القوانين والعلوم الخاصة بالعالم الروحي مازالت في دائرة «القليل»، وإن كانت الدراسات والأبحاث المتخصصة في هذه النواحي الروحية التي تتجاوز الحواس تسير على قدم وساق وتتقدم باستمرار مكتشفة الجديد في قدرات الإنسان الروحية البحتة كما في علم وتجارب الباراسيكولوجي والروحية الحديثة.

وكما تتغير مقاييس الزمان بين المادة والطاقة في العالم الطبيعي المحسوس فإن هذه المقاييس تختلف أيضاً بين الجسد والروح، الأول في العالم الطبيعي المحسوس، والثاني في عالم الأمر الذي هو من الغيب، وإذا كان للروح إدراكها فهي بالتالي لها زمانها ومكانها بمقاييسها غير الجسدية أو المادية. ولما كان مقام الألوهية منزه عن التجسيد والتصوير والروحية والكفؤ بصفة عامة، فإنه لا بد وأن يكون هذا المقام منزه أيضاً عن الزمان والمكان. وعند هذا المقام تنتهي قدرات العقل وطاقات الروح لأن المقام هنا هو في إطار (ليس كمثله شيء) [1] كما أنه مقام يعلو الخلق الكائن – أياً كانت أراء العلماء في البداية الخلقية للكون.

إنه بدون الطاقة والقوى لا يمكن أن يحدث أي شيء في الكون ولا يستطيع أي

(١) الشئ بطبيعته محدود ومتناه والله ليسس محدوداً ولا متناهيا، ومن هنا فإن الشيء ليس كمثل الله كما أن الله ليس كمثل الشيء.

شيء أن يعيش أو يتحرك. لقد حاول الكثيرون على مر الزمن تصميم آلات تعمل باستمرار دون مصدر للطاقة، لكن محاولاتهم باءت بالفشل لأن ذلك يستحيل تحقيقه حيث لابد لأي آلة من مصدر طاقة دائم فضلاً عن أن طاقة الدخل في أي آلة هي دائماً أكبر من طاقة خرجها. وكذلك آلة المخ تحتاج دائماً إلى مصدر طاقة دائم – هو الروح – الذي يتصل بآلة المخ عن طريق الوسيط الطاقي الذي هو الكهرباء أو الشجرة المباركة الزيتونة التي ورد ذكرها في سورة (ص) في القرآن العظيم الآية:٧٢، وهو سر نشاط المخ أو عمله المستمر.. والمتصل بالحياة في الخلايا التي تحتاج هي أيضاً إلى مصدر للطاقة دائم هو غالباً (النور) وهو إسم من الأسماء الحسنى وطاقة.

والإنسان – في حالته الطبيعية – لا يستطيع أن يبصر أو يسمع كلامه أو يعلم شيئاً في الظلمات (الفضاء) [1] والقرآن يخبرنا في سورة البقرة في الآية ٢٠ ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ ۖ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ ويقول القرآن في الآية ١٧-١٨ من سورة البقرة كذلك ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ ﴾.

سبق أن ذكرنا أن القرآن العظيم يشير في خلق الكون أحياناً إلى ستة أيام وأحياناً إلى ثمانية أيام، يفسرهما الأستاذ الدكتور/ زغلول النجار في كتابه «تفسير الآيات الكونية في القرآن تفسيراً مختلفاً عن فهمي لأنني أرى ان المقصود بالعدد (٦) والعدد (٨) هو الإشارة في تباين الرقم، إلى (البعد الزمني) المقترن بخلق السماوات والأرض أي بالكون نفسه وكما يقول ستيفن هوكنج في كتابه: «وكما أن المرء لا يستطيع أن يتحدث عن أحداث في الكون دون فكرتي المكان والزمان فإنه يماثل ذلك تماما أنه قد أصبح مما لا معنى له في النسبية العامة أن نتحدث عن

(١) لأن الموجات الصوتية لا تنتقل في الفضاء.

المكان والزمان خارج حدود الكون...»

وهذه النظرة لأنيشتاين تتفق وتتوافق مع حديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم عن (مقام كان) في حديثه «كان الله ولم يكن شيء غيره» قبل خلق الكون الذي رواه الأمام البخاري في صحيحه في باب بدء الخلق. ويقول الدكتور/ هوكنج في كتابه: «وكان من اللازم في العقود التالية (أي لعهد إينشتاين) أن يثور هذا الفهم الجديد للمكان والزمان من نظرتنا للكون ليكون كونا متمددا ديمانيكيا...» فحديث النبي محمد صلوات الله وسلامه عليه الذي ذكرناه يعني أنه لم يكن زمان ولم يكن مكان ولم يكن شيء مطلقاً إلا (الله) سبحانه وتعالى فيما لا نعرفه أو يعرف عنه أحد شيئاً.. وكما يقول القرآن العظيم هو سبحانه (الأول) بلا بداية أي بلا زمان وأنه سبحانه وتعالى (الآخر) بلا نهاية أي بلا زمان أو بُعد الزمان أو قياس أو حساب. والمحصلة التي نخرج بها هي أن الزمان لم يكن موجوداً عندما كان الكون نفسه غير موجود فالبعد الزمني مقترن بالكون لأن القرآن العظيم يحدثنا عن البعد الزمني في آياته كما ذكرنا من قبل. وما توصل إليه إدوين هابل عام ١٩٢٩ من مشاهدات تدل على تمدد الكون واتساعه هو الذي أتى في النهاية بمسألة بداية الكون ونظرية الانفجار العظيم إلى دنيا العلم كما يقول هوكنج.

والخلاصـــة

والخلاصة: في مفاهيم من آيات القرآن العظيم نوجزها في المفارقات التالية:-

الآية ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧].

الوحدة = اليوم (٢٤ ساعة)

المكان = الأرض

الزمان النسبي = مما تعدون

الزمان المطلق = عند ربك

النسبة = واحد يوم = ألف سنة = ٣٧٥.٠٠٠ يوم

العروج : الحاسب = الإنسان

الآيـة (١) ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ﴾ [السجدة: ٥]

الآيـة (٢) (﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ ﴾ [المعارج:٤]

الآية (٣) ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الحجر :١٤]

الملائكة ولروح كائنات نورية روحية ذكية والحساب الزمني بالنسبة إليها حساب نوري (ضوئي) وليس حساب الإنسان في الأرض.

ولذلك في الآية الثانية فإن اليوم يساوي في زمن مقداره خمسين ألف سنة بالنسبة للإنسان في حسابه وقياسه وعده الأرض وبحيث يكون:

اليوم = خمسين ألف سنه ضوئية أي نورية (فظلوا فيه يعرجون).

والآية الأولى تشير إلى النسبة واحد يوم تساوي ألف سنة من نفس الحساب وهو الحساب الأرضي (مما تعدون).